التصوف في الديانات السماوية

الأستاذ:أحمدعاشوري
جامعة تلمسان

الملخص:
تتطرق هذه الورقة إلى التصوف بشكل عام عند أهم الديانات وفق مقاربات ورؤى متعددة في عالم متماثل ومتمايز ، ورغم انتمائه إلى ما هو عجائبي إلا أن به من المعرفة ما هو منجاة وأيضا ما هو معين على مقاومة الحياة الدنيا التي تتسم بالتعقيد إلآن أكثر من أي وقت مضى ، فهو أكثر التصاقا بالدين –أي كان هذا الدين-وربما كان أكثر التصاقا بتاريخ الحياة الإنسانية،تحذوه رغبة بالعودة بالإنسان إلى كوزوموس طاهر ومقدس كما كان عليه آدم عليه السلام في البداية الأولى .
الكلمات المفتاحية : التصوف،التراث الفارسي ، التراث اليهودي ، المسيحية ،التصوف البوذي.

ABSTRACT *:*
This paper deals with Mysticism in general for Most religions in defferent opooches and opinions in a world similar and defferent as well.Though Mysticism belongs to what's mysterious ,it has the knowledge wich helps and makes us resist our life which is characterized by complexty than ever before.Mysticism is more closest to religion,no matter what this religion is besides,it may be closer to the life of human history .They adopt it as a desire to bring back man to cosomouse holly as adam peace be upon him was from the first beginnings .
key words :mysticism,perish heritage,jewish heritage ,christiamity, indianmysticism.

تمهيد:

حفاظا على التسلسل الذي نريده ، وقبل أن نخوض في أي تصوف بدينه أو ديانته بودنا أن نتكلم عن التصوف بشكل عام ، لا عند المسلمين فقط بل حتى عند الديانات الأخرى وسنحاول معرفة أوجه التشابه والاختلاف ، كل هذا سوف يكون

بشكل عرضي ، أي أننا سنكتفي أحيانا بذكر أمور ونغض الطرف عن أمور أخرى كوننا حذرين من أن نخوض في تفاصيل قد تؤدي بنا إلى الانحراف إلى مواضيع بعيدة عن ما نصبوا إليه ، خاصة ونحن نعلم مدى تشابك المواضيع وتداخلها ، فظاهرة كظاهرة التصوف لا يمكن أن يجد أفقه إلا داخل مجال ثقافي ديني ، مجال انبثاق الوحي وسيادة المقدس وهو ليس بالمجال المحدود والضيق حتى أننا –أحيانا- ينتابنا إحساس أننا نلعب على رمل متحرك .

لا يغيب عن البال أن البحث في أمور مرت بتاريخ طويل وصارت من الماضي في بعض أجزائها ، مع أنها لازالت تتسم بالحضور الطاغي أحيانا ، والفاتر أحيانا أخرى ، ودراستها في الماضي يمثل لنا أرضية صلبة يمكن أن نعول عليها في دراستنا لها ، حتى أننا يمكن أن نحيط فهما لبعض الظواهر الاجتماعية المختلفة ، مع أننا دائما نضع في حساباتنا تسارع التغيرات التي تفرزها الحياة في مختلف جوانبها ، وكسمة من سمات المجتمع ، هذا الأخير له وجوده الخاص به سواء في عيشه أو في طريقته الخاصة في التفكير ، فثمة موضوعات بسيطة ومعقدة تقدمها لنا الطبيعة والتغير إن لم يتم فيها عمقا يتم سطحا ، إننا نبحث على رأي ألان توران في مجتمع القديسين ، خاصة ونحن نعيش في عالم يتصرف فيه كل فرد دون أن يؤمن بأي شيء اللهم إلا رغبة في أن ينجو بنفسه من عالم معاد عن طريق التعامل معه بمنطقه هو **01**.

من حسن حظ الدارس لمثل هذه الظواهر وفرة المصادر والمراجع بغض النظر عن قيمتها العلمية والمعرفة الدينية أيضا وحتى و إن كانت تكرر -أحيانا – نفسها ناهيك عن الأسئلة التي توجه لها ، التي غالبا ما تكون أسئلة مركبة وضاربة في القدم، وبقدر وضوح هذه الأسئلة وحقيقتها يبقى دائما ما هو غير مفهوم ، رغم وحدة التجربة الروحية للإنسان عبر الزمان والمكان ، تحذوها رغبة وحنين الإنسان المتدين في أن يسكن عالما إلهيا ، بمعنى أن يعيش في كوزوموس طاهر ومقدس كما كان في البداية "آدم "عليه السلام ، ومهما تعقدت واتسعت مساحة الأسئلة في مثل هذه الظاهرة –التصوف- فإنها لا تزيد الدارس إلا رغبة في الأجوبة عنها للفتح بذلك مجالا واسعا لاختيار وتدقيق جملة المفاهيم التي هي ركيزة هذه الظاهرة لا عند المسلمين فحسب بل حتى لدى الديانات الأخرى.

إن كل دين ونظام ميثولوجي ما هو إلا قطعة ملونة صغيرة في فسيفاء بديعة زاخرة بالأجزاء التي تبدو مستقلة عن قرب ، متوحدة عن بعد في نظام متكامل ، يعطي معنى لكل جزء من أجزائه ، فالتصوف مثلا وهو من ضمن هذه الأجزاء ، يبدو أكثر التصاقا بالدين وليس هذا فحسب بل لا نبالغ إذا قلنا حتى بتاريخ الإنسانية لذلك عده البعض من أشرف العلوم باعتبار شرف موضوعه وهو الله ، وما التصوف إلا وسيلة عملية لبلوغ هذه السعادة أي اطمئنان النفس بيقينها ، لنخلص إلى أن التصوف مذهب روحي وجد ضمن كل دين ، اتخذه مجوعة من البشر كإعراض عن مباهج الحياة الدنيا وملذاتها ، مقبلين على روح التأمل والتبتل.

منذ ألاف السنين أدرك الإنسان أن خلف هذه الغلف الجسدانية سرا مكنونا لا يستثيرها إلا التحكم التام بالبدن وبالشهوات ، وإضعاف سطوة الجسد وسلطانه عليه لتشرق الروح وتضيء مكامنها ، مكتشفة الحقيقة الوجودية ، وقد وجد هذا الاتجاه في كل أمة راقية ، ولبس شكلا مناسبا لعقولها وأفكارها وتعاليمها ، فهو معروف منذ القدم في الهند وفي الصين وبلاد فارس ، كما نشأ ضمن اليهودية والمسيحية ، لقد حاول بعض المستشرقين الذين تناولوا التصوف الإسلامي تلمس تأثيرات فارسية أو هندية أو....الخ لتبرير نشأة التصوف في الإسلام الذي ما هو إلا انعكاس طبيعي لتلك النزعة الراسخة في عمق الوجود الإنساني ، وربما يرجع هذا التبرير حتى يعرف عن الإسلام بأنه دين جاف وفقير وخال من الروحانيات ، فإذا وجد فيه تيار روحاني عارم كالتصوف فلابد من البحث عن تأثير خارجي أوجده **02**.

إن إبداءنا للملاحظة الأخيرة ، قد تكون جزئية وغير حاسمة وكذلك غير مستبعدة، لأننا وجدنا كذا مؤلفات لا تخلوا من إشارة إلى بعض الممارسات الصوفية لمجتمعات غير إسلامية ومع متابعتنا لهذه الدراسة سنلقي الأضواء على هذه النقطة، لذلك لا يكفي هنا التعميم ما لم يتم البحث في العمق ، وهذا ما سنحاول فعله قدر المستطاع ، عله يساهم في إغناء تصورنا النظري والواقعي كذلك لما أصبح يشكل محور اهتمامنا ، لذا سيكون من الواجب علينا تتبعها في بعدها الدياكروني وليس بوصفها نموذجا متكلسا تقع خارج التاريخ ، فهي في جوهرها تعد "فهما واعيا للدين".

1- التصوف عند الفرس :

طرح الجانب الفارسي على التصوف الإسلامي نفسه كمصدر من مصادر التصوف الإسلامي تجلى ذلك حسب الباحثين الفارسيين في مصطلح"العرفان" الذي قد يكون قريب من المعرفة ، ربما هذا ما جعل عندهم التصوف يتميز بالفكري أكثر من السلوكي وكان أشد قربا من الفلسفة ، لأنه احتفى بأفكار خاصة جد قريبة فيها لاسيما عند ابن سينا وتصوفه الفلسفي الذي وضعه في خدمة الحقيقة الدينية ، ووسيلة عملية لبلوغ السعادة عن طريق اليقين الذي هو أرقى أشكال المعرفة.

دخل الإسلام بلاد فارس ، وأزال دولة الساسايين ، ولم يصبح للديانات الفارسية دولة تسندها وتحميها ، غير أن نهاية الدول لا تعني بالضرورة نهاية العقائد التي تعتنقها ولا الديانات التي تدين بها وإنما تبقى في عقول الناس ووجدانهم ، غير أن في بقائها ستتشكل بصور وأشكال جديدة ، حتى أن منها من بقيت في أشكال غنوصية ، فصارت تمثل تيارا باطنيا عنيفا**03** .

يعتبر أردشير الأول ابن ساسان الذي كان رجل دين ، موحد فارس ، لذلك لقب بالملك الجامع أو الموحد ، لأنه جمع الفرس وأعاد إليهم وحدتهم ليس بتوحيد البلاد عسكريا بل أيضا من خلال تحالفه مع رجال الدين من أتباع الديانة الزرادشتية والتي كانت على مدى أكثر من ألف سنة مقوما من مقومات الحضارة الفارسية قبل الإسلام ، وسمي كذلك بالدين البارسي نسبة إلى" بارسي" وهي كلمة فارسية تعني التقوى أو الورع أو العول ، وشاعت عن هذه الديانة أساطير وعقيدة الحلول في شخص زرادشت بأنه روح الله كما المسيح عند الديانة المسيحية ، ولزرادشت كتاب مقدس فيه أسس عقيدته وشريعتها ويسمى بالعربية أبستاق وبالسريانية أبستاكا ، وبالفارسية الحديثة أبستام ، وجعل منها أردشير الدين الرسمي للدولة وهو صاحب مقولة : الدين والملك توأمان لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه**04** .

لن نخوض طويلا في تاريخ فارس الذي لا يقل روعة ولا ثقل معرفي وأدبي عن تاريخ الحضارات الأخرى ، ويكفيهم فخرا أن كان لهم الأثر الواضح في الثقافة العربية الإسلامية في شتى العلوم ، حتى أنه يروى عن المأمون أنه أمر معلم ابنه الواثق بالله، أن يعلمه كتاب الله جل اسمه ، وأن يقرئه عهد أردشير ويحفظه كتاب كليلة ودمية.

حينما نتكلم عن التصوف في بلاد فارس وإيران يتردد اسم شخصية من خراسان كثيرا في مؤلفات المتكلمين في التصوف ، هو إبراهيم بن أدهم المتوفى سنة 161 هـ ، الذي حيكت حول تحوله من الغنى والإمارة والجاه إلى الزهد والتصوف حكاية مماثلة لتلك التي نسجت عن حبيب العجمي الفارسي ، وقد عده القشيري أول شيخ من شيوخ الصوفية واعتبره آخرين أول زاهد على وجه الحقيقة ، لقد سلك الحبيب وإبراهيم نموذجا فارسيا معروفا نموذجا لشخصية تترك الترف والمال والإمارة والجاه وتصطنع الزهد والصوف طلبا لمنزلة أكبر وجاه وأوسع .

ويعد كذلك ابن سينا كأحد الفلاسفة الفارسين المتصوفة ، الذي يرى في التصوف درجة عالية من النظر وإعمال البصيرة حتى تنكشف للعقل الحقائق الإلهية ، ويعتمد بل ويوحي بذلك على أن تكون الرمزية والتلميح دون التصريح لعجز اللغة عن ثقل معارفه ، وهو نفس ما ذهب إليه ابن طفيل عندما اعتبر أو اتخذ الرمز والخيال والكتابة وسيلة للتبليغ لأننا برأيه أمام تجربة تتجاوز نطاق الحواس والشعور المباشر ، فالتصوف هو عبادة تدرجت فيما بعد إلى زهد يجتمعا في العرفان ، ويكون العقل فيه أداة رئيسية أي تصوف عقلي مبني على التأمل أولا ثم الحدس الوجداني المعرفي ثانيا ، ويتفقا كذلك في اعتماد السرية في مثل هذه المعارف ، لأنها خاصة جدا ولأنها ليست من قبيل ما يوصف أو يصنف ، والبوح بها فيه خطورة**05**، فالذوق وسيلة المعرفة كما يقر بذلك السهروردي.

كانت معرفة اللغة العربية ضرورية عند متصوفة الفرس لغناها وثرائها ، ولأنها لغة القرآن وهي في نظر المؤمن لغة ميتافيزيقية بلا منازع فهي تصل الأرض بالسماء**06** ، فأغلب الموسوعات الصوفية كانت من تأليف الفرس فالرسالة القشيرية للقشيري ، والسراج الطوسي صاحب اللمع وغيرهم ، فالصوفي في تعامله مع اللغة لا يكتب بها بل يتلوها لأنها تستدعيه وتناديه من داخل الموقف بعد أن اختارته منصتا لها ، إنها في انكشافها تنظم العلاقات بين الإنسان والمطلق**07** .

بقي أن نشير إلى أن الزهد وهو أحد سمات التصوف كان موجودا وقائما في بلاد فارس قبل الإسلام ، واتخذ فيما بعد أي التصوف كما ذكر الشيبلي كأحد الأسلحة بجانب التشيع لمحاربة العرب والقضاء عليهم بعد أن كانوا أي الفرس يعتبرون

أنفسهم أحرار وصاروا بعد ذلك موالي ، وعلى هذا فقد كان التصوف ضرورة من الضرورات ، ويؤكد هذا كذلك قاسم عيثم باحث إيراني معاصر حيث يرى أنه لم يكن عن خطه ولكن كان أكثر من ذلك متأتيا بحكم الانفعال النفسي وبتأثير العواطف**08** ، ومهما قلنا فإن التصوف الفارسي ظاهرة كانت لها انعكاساتها على الثقافة العربية الإسلامية.

2- التصوف عند اليهود : يرى هابر ماس أن التراث اليهودي خاصة التراث الكابالاني أضاء بعض الموضوعات المركزية الخاصة بالفلسفة المثالية الألمانية المصبوغة بشكل أساسي بالبروتستانتية ، ويرى كذلك أن المثالية نفسها جزء من هذا التراث الكابالاني الذي ظل يثري ويفعل تيارا ثقافيا استطاع أن يحافظ على بعض ملامح الصوفية اليهودية وهو ما حاول كذلك روزبزويك في كتابه المؤلف من ثلاثة أجزاء "نجمة الخلاص"تأكيده عندما أراد تأويل الفكر المثالي منطلقا من عمق التصوف اليهودي **09** .

إن التفسير الكابالاني لنصوص التوراة بالإضافة إلى التفسير الحاخامي هو الذي ساعد طوال قرون الفكر اليهودي لممارسة التأويل من خلال التعليق والشرح والتحليل ، أما انجذابه إلى نظرية المعرفة فيعود دون شك إلى أن هذه الطريقة توفر شكلا معقلنا لإشكالية صوفية ضاربة في القدم ، وبالفعل لا يفلح الصوفي بالتقاط مراحل الألوهة وأطوارها إلا من خلال السلوك الروحي نحو الله ولذلك لا تحصل معرفته إلا بواسطة تفكر متعال يتناول نمط تجربته الخاصة **10**.

وللإشارة فقط ، اليهودية مثل الإسلام تشريع مرتبط بأوجه الحياة المختلفة الاجتماعية منها والسياسية والمعاشية ، بل إن القرآن الكريم تحدث عنها بعدد كثير من الآيات ، وهي كذلك عرفت التصوف باسم القبالاه ، والتي مرت بمراحل عديدة، حتى أنه يعد تراث ضخم وضع فيه أسس التفسيرات الصوفية الحلولية في الزوهار والباهير ويقال أنه حل محل التوراة والتلمود والقبالاه كلمة عبرية تعني القبول أو التقبل ، أي ما يتلقاه المرء عن السلف من تراث وتقاليد هذا التراث ما هو إلا مجموعة من التفسيرات والتأويلات الباطنية للنصوص الدينية ، فالمتصوف اليهودي

لا يتجه نحو تطويع الذات الإنسانية الفردية وخدمة الإله وإنما يحاول الوصول إلى فهم طبيعة الإله من خلال التأمل والمعرفة الاشراقية الكونية الغنوص أو العرفان.

تاريخيا يرجع بعض الباحثين التصوف اليهودي إلى القرن الأول والثاني الميلاد ي عن طريق بوحنان بن زكاي ، أحد معلمي التلمود بتشكيل حلقات دينية كانت تناقش أسرار الخلق وطبيعة العرش الإلهي ، ومع مرور الزمن سيتطور التصوف اليهودي ويعرف الكثير من الاتجاهات والأشكال ، ليصل قمة ازدهاره في القرن الرابع عشر بظهور سفر الزوهار الذي يقال أن مؤلفه هو موسى دي ليون المتوفي في عام 305 م ، غير أن الدكتور شمعون موبال في كتابه التلمود أصله وتسلسله وآدابه يرى غير ذلك ، حيث تنسب إلى شمعون بن بوحاي الذي عاش في القرن الثاني الميلادي في عصر الإمبراطورية الرومانية وله مكانة دينية رفيعة عند اليهود الذين يحجون إلى قبره ويحتفلون كل عام بعيد يعرف باسمه.

والزهاور كلمة عبرية تعني النور الساطع والإشراق والضياء ، وهي مجموعة شروح لأسفار موسى الخمسة بالإضافة إلى حواشي سميت (التقاليد الوراثية) الذي يقول عنها د شمعون موبال "أنها مزيج من الأفكار الخيالية تبحث في مسألة الروح وحياة البرزخ ، وهي الأكثر رواجا بين اليهود ولها قدسيتها" ، كما يوجد هناك نوع آخر من القبالاه يعرف بالحسيدية مصطلح عبري أيضا يعني الإحسان وعمل الخير ، ويعرف كذلك في الأدبيات العبرية بالحسيدوت أي التقوى وجمعها حسيديم ومن أكثر ممثلي هذا النهج الصوفي الخام إبراهيم بن ميمون ابن الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون ، الذي يرى في الصوفيين الورثة الحقيقيين لتقاليد العبرانيين ، كان إبراهيم شخصا تقيا سلك درب الروحانيين يشبه كثيرا النهج الذي اتبعه بعض المتصوفة المسلمين ، حيث استطاع أن يدخل سلسلة من التحديثات على الصلاة في الكنيس اليهودي مثل غسل اليدين والرجلين قبيل أداة الصلاة ، وانتظامهم في صفوف ، ناهيك –بالطبع -عن حركات الجسد أثناء الصلاة **11**.

لا يمكننا هنا إثارة كل المسائل المتعلقة بالتصوف اليهودي كارتباطه بالسحر مثلا كما يشير إلى ذلك الباحث البريطاني بول جونسون في كتابه تاريخ اليهود ، حينما

يطابق التصوف اليهودي بالسحر عندما يقول" ظل اليهود يمارسون السحر بنوعيه الأبيض والأسود ويمارسون السحر بالنار ويقيمون جلسات تستمر الليل طوله لاستحضار أرواح خيرة وأرواح شريرة..... ولم يكن ذلك النهج اللاعقلاني في ممارسة الديانة قاصرا على عامة اليهود بل تفشى بين أعلى طبقاتهم وأطلقوا على هذه الممارسة التصوف بالإضافة إلى ارتباط التصوف بالرقص والموسيقى وجعلهما الوسيلة الوحيدة لتمجيد الرب وتقديسه وشكره وثنائه كما جاء في عدد كثير من الأسفار كسفر صموئيل الثاني وسفر المزامير وغيرها"**12**.

إن هذا العنصر الذي حاولنا فيه أن نغطي أهم وأكبر قدر ممكن من المعلومات والمعطيات ليعد لوحده مبحثا ، بقي إلى أن نشير إلى أن التصوف اليهودي هو أيضا تأثر كثيرا بالفلسفة الإغريقية والفلسفة الهيلينية ، لذلك عد منتجا تاريخيا قبل أن يكون موقفا فكريا ، غرضه الارتقاء بالنفس والاقتراب بها من ملكوت السماوات والدخول في رحاب الألوهية.

5- ***<u>التصوف عند المسيحية:</u>***

كنا قد جئنا فيما سبق على مصطلح النيرفانا في الديانة البوذية واعتبرناها حالة من السعادة والسلام المقيم والقداسة الكاملة والتجرد من كل الشهوات الجسدية وتحرير الفرد من عودته إلى الحياة ، وهذا أيضا ما وجدناه في الديانة المسيحية لكن باسم آخر هو الإماتة أي إماتة الجسد بالقضاء على الرغبات والنوازع والاهتمامات والتركيز على الفكر فقط ، وهي من التدريبات المهمة في حياة الرهبنة**13** ، فالصوفيين المسيحيين قد اقتدوا جميعا بالإنجيل وتلقوا تعاليم لاهوتية واحدة**14** ، ولئن كانت المسيحية شكلت نوعا عميقا لليهودية كما ذكرنا سابقا فإننا نضيف أن ما من تيار فكري أو عاطفة لدى بعض الصوفية المسيحية لا تخلو من المساهمة اليهودية.

ويذهب بعض المستشرقين إلى أن التصوف المسيحي أو بالعموم الدين المسيحي أثر على التصوف الإسلامي حيث يتضح ذلك في تغليبهم الطابع اللاهوتي الكنيسي على الكثير من مؤلفاتهم ، خاصة مؤلفات القرون الوسطى التي تناولت التصوف من منظور لا هوتي مدفوع من قبل الكنيسة ، فما اللاهوت إلا تيار من الصوفية حصره الدين ، هذه الصوفية ما هي إلا صورة قوية من الحماسة الدينية ، وهو ما أوضحه

عدد كبير من الرهبان والقدسيين من أمثال رامون لول ، والقديس بولس والقديستين بتراز وجان دارك ، فهي كحركة كانت ملازمة لحركة النسك ، أو ما يعرف عند النصارى بالنساك الذين لا يختلفون عن أي متصوفة من أي دين في التزاماتهم مع أنفسهم من خلال عزلتهم وابتعادهم عن المجتمع.

يذكر ماكس فيبر إحدى التجارب الدينية الأرقى التي جهدت التقوى اللوثرية لأن تبلغها في صورتها المعروفة خلال القرن السابع عشر ، هي التوحد الصوفي مع الألوهية والمقصود هو الشعور بالذوبان في الخالق وبأن نفس المؤمن باتت محاصرة بالرباني فعليا ، بشكل يماثل فعل التأمل لدى الصوفيين الآخرين ، مما يتولد عنده شيء من الحفاظ على التوبة اليومية**15** ، فإذا كانت عنده الحياة المقدسة تكمن في تخطي الأخلاق الدينية ، وما إن تسيطر عليه النسكية (من النسك) ، حتى تطرده من الحياة العملية كلها ، لتبقى الحقيقة المهمة برأي فيبر تكمن في أن الراهب هو بامتياز الإنسان الوحيد الذي يستطيع أن يعيش حياة ميتودية بالمعنى الديني للعبادة**16**.

والمسيحية كأي دين كانت لها صوفيتها، يقول ول ديورانت في موسوعته قصة الحضارة "غير أن أقلية من المسيحيين كانت ترى في النزول إلى هذا الدرك والتمتع بملاذ الحياة خيانة للمسيح ، واعتزمت أن تجد مكانها في السماء عن طريق الفقر والفقه والصلاة ، فاعتزلت العالم اعتزالا تاما" ويضيف ديورانت" لقد غصت الأديرة بالرهبان والنساك الفرادى والمجتمعين يعيشون في عزلة كما كان يعيش أنطونيوس، أو جماعات كما كان يعيش باخوم ، وكان رئيس الدير يطلب إلى الرهبان أن يطيعوه طاعة عمياء ، ومما يختلف فيه التصوف عند المسيحيين عن غيرهم أنه يكاد يكون شأن الرهبان أو العلمانيين المعزولين ، وتتواجد فيه الوساطة اليسوعية باستمرار، وعرف أيضا أكثر من مذهب ، فالقديسة تريزا الأقبلية وهي اسبانية تؤمن بعقيدة الاتحاد ، بينما يؤمن القديس نوان دي لاكروت وهو اسباني أيضا بوحدة الوجود ، ونقط الالتقاء كثيرة بين التصوف الإسلامي والمسيحي ، فقد سأل أحد الزهاد المسلمين راهبا مسيحيا قائلا ما علامات الإيمان؟ فأجاب الراهب: حينما يستولي العشق على قلب المؤمن.**17**

6- ***<u>التصوف عند الهنود والديانات الأخرى:</u>***

ما يقر به المستشرقون -من وجهة نظرهم على الأقل- بأن التصوف استمد أصوله من الفكر الهندي ، حيث يشير وليم جونز الذي قارن بين مذهب وحدة الوجود في التصوف الإسلامي المتأخر وبين مذهب الفيدانتا في الديانة البرهمية ، و الفيدانتا هو كتاب يعتقد البراهمة أنه موحى به من الإله براهما نفسه ، وقد جمعه حكيم من حكماء الهند أطلقوا عليه فيدا قياسا أي جامع الفيدا ،وهذا الكتاب هو مصدر العقيدة البراهمية يستمدون منه عقيدتهم وتشريعاتهم وأخلاقهم وقصصهم وتعد بحق محور حياتهم العامة والخاصة على حسب ما ذكره إبراهيم محمد إبراهيم في كتابه الأديان الوضعية**18**.

أما البيروني في كتابه المشهور" تحقيق ما للهند مقبولة في العقل أو مرذولة" فقارن بين العقائد الهندية والعقائد الصوفية ، فذكر أوجه الشبه ولخصها في أمور ثلاثة هي : الأرواح وطريق الخلاص وإلغاء التمايز ومحو الإشارة ، ونجد هذا التشابه خصوصا في أقوال البسطامي والشبلي والحلاج ، ويؤكد البيروني على أن أقوال المتصوفة في كثير من معتقداتهم نسبية كقضية وحدة الوجود والحلول والاتحاد التي نادى بها الحلاج وابن عربي وجلال الدين الرومي وغيرهم تكاد تكون مقتبسة من الفيدانتا ، فحتى ما يعرف بالفناء عند الصوفية هو ما يسمى عند الهنود بالنيرفانا، أي عندما ما يصبح الإنسان واحدا مع براهمان ويكون هادئا في روحه ، وبراهمان عندهم هو الإله الخالق ، ومع كل هذا هناك من الباحثين من لا يرون بأن التصوف الإسلامي تأثر بالأفكار الهندية ، أما عن الحلاج والشبلي ، فعلى حسب ما ذكره الباحث عبد الفتاح محمد سيد أحمد لم يكونوا على علم بهذه المذاهب الهندية ولا معارفهم**19**.

تعرف الهند بمتحف المذاهب ، ولأنها من البلاد القديمة في التاريخ كانت بيئة صالحه لنشأة مختلف العقائد بما فيها الصوفية ، التي تعددت على حسب تعدد المذاهب والمدارس الفكرية والفلسفية ، وأهم دياناتها البوذية والبراهمية ، حتى أن هناك من يرى أن الأمريكيين يحبذون التصوف على الطريقة الهندية ، بل هناك من أسلم بعد أن أخذ عن الهنود مذاهبهم المختلفة وتعمق في البحث حتى وصل إلى الإسلام ، وما يقال عن الهند يقال عن بلدان أخرى ، فروسيا –مثلا- ارتقى فيها

التصوف إلى التصور التالي : إن الخطيئة ضرورية لا غنى عنها إذا أراد المرء الاستمتاع بكل بركات النعمة الإلهية ، ومن هنا فإن الخطيئة عمل محبب للرب في خاتمة المطاف **20**.

الخاتمة :

نعترف بأننا لم نأت إلا بالنزر اليسير في موضوع كبير ، فأن تتحدث عن التصوف يلزمك زاد كبير من المعرفة في عوالمه ودواخله ومخارجه ، ولأن هذا يتطلب جهدا جهيدا، فلقد حاولنا قدر الإمكان إعطاء نبذة ولو قصيرة عن هذا العالم الغامض .

<u>تعاليق وهوامش المقال :</u>

01- تورين ألان نقد الحداثة ترجمة أنور مغيث المجلس الأعلى للثقافة القاهرة1997 ص.453

02- سعد رستم الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات النشأة التاريخ العقيدة التوزع الجغرافي سوريا الأوائل للنشر والتوزيع ط3 2005 ص175-.176

03-صالح الرقب ومحمد الشومكي دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية غزة ط2 2008 ص142-.143

04- الجابري محمد عابد نفس المرجع ص154 .

05- حميدي خميسي نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي الوسيط اتجاهاته مدارسه أعلامه دراسة الجزائر وزارة الثقافة 2007 ص98-.99

06- عبد الكبير الخطيبي نحو فكر مغاير ترجمة عبد السلام بن عبد العالي وزارة الثقافة قطر ماي 2013 ص.28

07- منصف عبد الحق أبعاد التجربة الصوفية إفريقيا الشرق المغرب 2007 ص228 .

08-الجابري م عابد نفس المرجع ص432 .

09- يورغن هابر ماس الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي ترجمة نظير جاهل المركز الثقافي العربي بيروت ط1 1995 ص 53 .

10- يورغن هابر ماس نفس المرجع ص60 .
11-رشاردشامي موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية المكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة 2001 ص185.
12-شفيق مقار السحر في التوراة والعهد القديم دار رياض الرياس للكتب والنشر لندن ط1 1990 ص528.
13- فالح مهدي البحث عن منقذ دراسة مقارنة بين ثماني ديانات دار ابن رشد مصر ط1 1981 ص62-63 .
14-هنري برغسون نفس المرجع ص264 .
15- فيبر ماكس الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية ترجمة محمد علي مقلد مركز الإنماء القومي بيروت ص78 .
16- ماكس فيبر نفس المرجع ص.79
17- فيصل بدير عون التصوف الإسلامي الطريق والرجال مكتبة سعيد رأفت القاهرة 1983 ص67.
18- عبد الفتاح محمد سيدي أحمد التصوف بين الغزالي وابن تميمة دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة القاهرة ط1 2000 ص21.
19- عبد الفتاح محمد سيدي أحمد نفس المرجع ص21-22
20-فرويد سيمجوند مستقبل وهم ترجمة جورج طرابيشي دار الطليعة بيروت ط4 1998 ص 52 .